

البراكماتية اللغوية

وفق الشمولية العالمية

بقلم

جف فرسكورن

ترجمة

أ. د. هاشم عبد الله المرادي

ملخص الترجمة:

هذه ترجمة لمقدمة كتاب " فهم البراكماتية " Understanding " Pragmatics" لمؤلفه جف فرسكورن "Jef Verschuren" و هو أستاذ أمريكي ينتسب إلى جامعة انتورب حيث يدير مركز الأبحاث للرابطة البراكماتية العالمية ، وقد أعطيها العنوان : " البراكماتية اللغوية وفق الرؤية الشمولية العالمية " وهو ما ورد ذكره في أجزاء الكتاب الثلاثة .

إن الدافع لترجمة هذه المقدمة هو في الواقع حاجة المكتبة العربية الماسة إلى ما وصلت له عقول الغرب للبراكماتية اللغوية و لهذا المنطور الجديد لها حيث كرس المؤلف جهده لشرح فكرة البراكماتية وفق هذه النظرة الشمولية العالمية وتعميمها على جميع مظاهر اللغة بنية ووظيفة واستخداما آخذاً بنظر الاعتبار التعقيد الكبير لوظيفة اللغة المعرفية و الاجتماعية و الانثروبولوجية .

وبناءً على هذه الرؤية فقد أعاد المؤلف النظر في عدد كبير من الظواهر التي سبق و أن اعتبرت براكماتية، شارحاً علاقتها الوثيقة بها و لكن على أسس شمولية جديدة و من خلال سياقات عملية مختلفة مع ما ينتج عنه من التكيف و التعديل و مع ما يشمل عليه من عناصر أمكنة و أزمنة الأحداث حيث يجري انتقاء الخيارات اللغوية التفاهمية ، كل ذلك يوضح بالأمثلة التطبيقية و يفسر كيف أن العناصر الموصوفة للتوظيف اللغوي المفيد يمكن معالجتها عملياً . و هكذا يرسي المؤلف استنتاجاته القيمة على حقيقة: إن البراكماتية وفي ضوء النظريات الحديثة لم تظهر من فراغ .

التي تؤلف جزءاً من علم اللغة
مثل تحليل الخطاب Discourse Analysis

و علم اللغة الاجتماعي Social Linguistics و تحليل المحادثة

Conversation Analysis . لكن هذا لا يشكل موضع جدال . فمن خلال

النتائج المنطقية و المضامين المحددة يستدل على الكيفية التي

يتبوأ علم اللغة البراكماتي مكانه في علم اللغة العام

علم اللغة البراكماتي

مقدمة و تعريف:

علم اللغة البراكماتي هو دراسة استخدام اللغة و بعبارة أدق : دراسة الظواهر اللغوية من خلال تراكيبها و خصائصها و عملياتها . لكن تعريفها ابتدائياً كهذا لا يقدم تمييزاً دقيقاً بين علم اللغة البراكماتي و بعض المعارف اللغوية الأخرى

على و وحدات صوتية متميزة تعرف بالفونيمات Phonemes . و ببناء الفونيمات نحصل على الوحدة الصرفية أو ما يعرف بالمورفيم Morpheme ومن ثم الكلمات Words و صعوداً بهذه إلى نظم الجملة .

علم الصرف إذن يدرس الوحدات الصرفية وهي اللواحق اللغوية الصغرى التي تحمل المعاني التقليدية و بانضمامها إلى غيرها تشكل الكلمات و لنضرب مثلاً : الكلمة disenchantment (تعني خيبة أمل أو فقدان الثقة) تتألف من اللواحق الصغرى الآتية :

Dis en chant ment

و يجدر أن نبين أن هذه اللواحق لا تمتلك خياراً إلا بارتباطها بغيرها لتشكل كلمات جديدة ، وبذلك ندعوها بالوحدات " الصرفية المقيدة " Bound Morphemes . لكننا إزاء لواحق صرفية من نوع آخر. لنأمل المفردة الآتية، neighbourhood (تعني جورة) و تتألف من الوحدتين الصرفيتين:

hood و neighbour .

إن هاتين الوحدتين تؤلفان كلمتين مستقلتين أساساً و هما بذلك يكونان مثلاً على الوحدات " الصرفية الحرة " Free Morphemes لكن hood في هذه المفردة تلعب دور الوحدة الصرفية المقيدة. و تخضع الكلمات المعجمية جميعها لهذا النظام الصرفي فهي إما تكون وحدات صرفية حرة أو إنها مركبات من الوحدات الصرفية التي تتحد مع بعضها البعض ووضعا خطياً حسبما يقتضيه النظام الصرفي المحدد للغة.

General Linguistics و الموضوعات

الآتية محاولة لإيضاح ذلك:

١- عناصر النظرية اللغوية

تقليدياً يقسم علم اللغة العام إلى مواضيع دلالية مثل: علم الأصوات (اللغوية) Phonetics أو (دراسة النظام الصوتي Phonology ، وعلم الصرف Morphology وعلم نظم الجملة Syntax وعلم الدلالة Semantics ، وكل من هذه المعارف ينتسب إلى وحدة محددة من التحليل . فعلم الأصوات أو دراسة النظام الصوتي يعالج أصوات الكلام: ف"علم الأصوات" يؤدي وظيفته من خلال دراسة الأجزاء المكونة للتيار الصوتي المستمر الذي يؤلف العناصر الشاملة لمادة اللغة وهي معين اللغة في استخداماتها الأساسية. (و من الخارج هنالك الأصوات غير اللغوية مثل التثاؤب المسموع و العطاس) و يجري عمل "علم الأصوات" غير اللغوية من خلال الدراسة المركزة على الخصائص الفيزيائية للأصوات وذلك هو علم الأصوات الاكوستي Acoustic Phonetics أو من خلال الطريقة التي تؤدي بها عبر دربها الصوتي وهذا من خصائص علم الصوت النطقي Articulatory Phonetics أو من خلال تسلمها وهو ما يدخل في وظيفة علم الصوت السمعي Auditory Phonetics . و يدرس علم الفونولوجيا أو (دراسة النظام الصوتي) الطريقة التي تشكل أصوات الكلام بنحو يساعد متكلمي لغة معينة أن يتفوقوا على أن صوتين متنوعين في اللفظ إلى حد كبير متساويان من حيث الأساس . و عندما ننظر إلى الأصوات من وجهة النظر هذه نحصل

تشاطر تقسيم العمل المتعلق بالعناصر التقليدية للنظرية اللغوية . لكن السؤال هنا : كيف يمكن للبركمانية أن تستخدم مصادر اللغة ؟

من المهم هنا الإشارة إلى إن البركمانية لا تضيف عنصراً إضافياً إلى النظرية اللغوية ، ولكنها تقدم وجهة نظرها المختلفة الخاصة بها ، وهذا الكتاب محاولة لشرح وجهة النظر هذه بوضوح ودون لبس.

بدون شك إن هناك الوحدات البنائية التي تغير نفسها باستمرار ويسر للتطبيقات البركمانية أكثر من غيرها من الوحدات الأخرى. و هذه تؤلف معظم وحدات ما فوق الجملة

Super-Sentential Unit، مثل النصوص Texts و المحادثات Conversations، الخطاب عموماً Discourse. وسبب ذلك إن هذه نتائج نموذجية تصلح مصادراً لغوية للاستخدام. يضاف إلى ذلك أنها نفسها تساهم في زيادة مجال المصادر اللغوية من خلال الكلمات و الجمل و النماذج و الأساليب المختلفة، إلى جانب الأنواع الأدبية و الفنية و فوق كل هذا و ذاك أنها توفر سياقاً خصباً لتفعيل البركمانية كما هو الحال في الأخيرة . لكننا بالتأكيد لا نتوقع أن نجد ظاهرة لغوية (و على مستوى أي بناء) تتجاهل وجهة النظر البركمانية هذه . دعنا نصور هذا بإيجاز:

لنأخذ أولاً مستوى الأصوات (اللغوية) . هب إن عالماً في الانثروبولوجيا (علم الإنسان) اكتشف إن نفراً من مجتمع معين كيف النظام الصوتي للغتهم (بغض النظر إذا هم قصدوا

علم نظم الكلام Syntax يبحث في عمليات تكوين الجملة. و أخيراً علم الدلالة Semantics و مهمته تحري معنى الوحدات اللغوية سواء على مستوى المفردات و هذه وظيفة علم الدلالة المعجمية Lexical Semantics، أو على مستوى الجملة سواء تطابقت أم لم تتطابق مع القضايا المطروحة مثل:

- The bird ate the

worm.

ولأمثلة أكثر تعقيداً :
- رأى جون الطير يأكل الحشرة .

-John saw the bird eat the worm.

أو:

- يقول جون هو يعتقد أن الطير أكل الحشرة .

-John says he thinks the bird ate the worm

كل هذه المساعي تعمل على استثمار مصادر اللغة استثماراً تاماً بطريقة تجعل اللغة أداة مؤثرة يستخدمها الناس في المقاصد التعبيرية و التفاهمية.

وحيث إن اللغة ذات هيكلية بالغة التعقيد في البنية والدلالة ، أصبح بالإمكان التعرف على وحدات التحليل لمعرفة عمل كل عنصر من عناصرها كما هو مبين أعلاه . لكن أين هو مكان البركمانية في كل هذا؟ هل هنالك مهمة قابلة للمقارنة لنضع البركمانية في الوظيفة التقابلية؟

٢- علم استخدام اللغة:

وجهة النظر البركمانية كما جاء في تعريفنا بدءاً ، البركمانية لا تتفق مع وحدة تحليلية معينة، كما إنها لا

استخدام هذا النظام في تفاهمهم اليومي أم لا . دعنا نقول إن هذه الفرضية تتضمن ظاهرة استخدام لذلك فهي ظاهرة براكماتية في الأساس بالرغم من إنها كائنة في نطاق مستوى البنية من ناحية كونها تقع ضمن حيز الفونولوجيا (دراسة النظام الصوتي) . ليس من الضروري الرجوع لمعلومات غريبة من اجل الوصول إلى استنتاجات مشابهة. إن معظم متكلمي اللغات ممن يتمتعون بدرجة ملحوظة من التنوع اللهجي نتيجة ترعرعهم في ظل لهجة محلية ولكن بتكيفهم اجتماعياً باستخدام تنوع لهجي معياري من خلال التربية الرسمية يجدون اللغة (الجديدة بأصواتهم) مختلفة - وهم يتحدثون بها في سياقاتهم المهنية - عن تلك التي يتحدثون بها مع آبائهم وإخوانهم وأخواتهم . و التنوع الاستخدامي كما هو الحال في هذا المثال لا يتوقف عند المستوى الصوتي بل يتعداه إلى المستويات الصرفية و المعجمية و النظمية . وعودة إلى الوحدات الصرفية و بناء الكلمات ، هنالك التضمينات و التقيدات البركمتية في عناصر علم الصرف الاشتقائي Derivational Morphology (الطريقة التي يتم بها ضمّ وحدات صرفية حرة لوحدات صرفية مقيدة و لناخذ مثلاً : speak وحدة صرفية حرة وبإضافة un- وهي لاحقة سابقة 'Prefix' و -able وهي لاحقة 'Suffix' نحصل على الكلمة الاشتقاقية unspeakable . وكذلك الحال مع "التركيب" Compounding و هي عملية انضمام مفردتين معا لابتكار كلمة جديدة مثل الكلمة

boathouse التي تتألف من الكلمتين boat و house . و إلى جانب الصرف الاشتقائي هنالك " الصرف التصريفي" Inflectional Morphology (الطريقة التي تتغير بها الكلمة طبقاً للمتغيرات التواعدية مثل الزمن Tense و العدد (في النحو) Number و الجنس (من حيث التذكير و التأنيث) Gender و الحالة (في النحو) Case و ما شابه ذلك. لتأمل العلاقة الصرفية بين كل من أزواج المفردات الآتية:

(شقوق) kind ----(غير شقوق) unkind
(ممتن) grateful ----(غير ممتن) ungrateful

و السبب في عدم قلب العلاقة هذه باستعمال مفردة أساسية تعني ungrateful و التي تصرفت من الكلمة grateful باستخدام وحدة النفي الصرفية un- ، و كذلك الحال مع الكلمات الأخرى المذكورة يعود في الحقيقة إلى الصلة الوثيقة بنظم القواعد الاجتماعية التي تؤكد الحاجة إلى gratefulness (امتنان) و kindness (شفقة) و lawfulness (قانونية) وما إلى ذلك . و يمكن أن تكمن في المعايير الكثيرة في الطبيعيات المفاهيمية conceptual nature لناخذ على سبيل المثال المفردة Familiarity " اعتياد" معيار مفاهيمي للمفردتين familiar (مألوف) و unfamiliar (غير مألوف) ، لكنه لم يسمح بإمكانية الوحدة الصرفية الأحادية Monomorphemic أن تلعب الدور نفسه في مفردة مثل *unstrange (غريب) و unstrange* (مألوف) ، باستثناء التعمد

النتائج الوخيمة التي تنجم لو إن التصادم وقع بالفعل .
الخيارات القواعدية
للوحدات الصرفية هي أيضا
موضوع تحديات براكماتية .
فالوعي السياسي الاجتماعي يجعل
من الصعوبة أن نفس الاستخدام
العام لضمير الشخص الثالث he
هو (يشير إلى أي كائن بشري،
مذكر أم مؤنث - بطريقة جنسية
محايدة) .

ولنتحول إلى علم نظم
الجملة Syntax، من الواضح إن
حالة الأشياء يمكن وصفها بطريقة
التركيب النظمية المختلفة:

- John broke the figurine.
حطم جون التمثال.
- The figurine was
broken by John.
من قبل جون.
- The figurine got broken.
تحطم التمثال.

و بالرغم من إن هذه التراكيب
تتردد في الوهلة الأولى متساوية
تقريبا في المعنى فإنها مختلفة جدا
من حيث شروط إعرابها : و لنشير
إلى عنصر واحد من أجل توضيح
ذلك . لاحظ حفظ التشديد المطرد
على الشخص المسؤول عن تحطيم
التمثال الذي بدأ بصيغة المبني
للمجهول التي لم تزل تتضمن ذكر
الوكيل " جون" و ينتهي بصيغة
تتضمن غيابا تاما أو تجاهلاً
لأية تبعه . و هناك إلى جانب ذلك
عنصر استخدامي ضمني آخر ، هو
تقويم المتكلم Speaker's assessment
فقد يكون للسامع مساس أن يسمع
شيئاً عن جون ومن هنا تبدأ
الجملة به أو أن يكون المثال
محور الموضوع (فيكون من السهولة
اختياره نائب الفاعل) . وعلى

الفرد الذي يلجأ إليه
اللبعض في المقاصد البلاغية
الخاصة ، فالأشياء التي توصل أو
تغلق ترى في حالة إغلاق a fastened
state و بعكسه من الصعوبة شرح
لم unloosen (بمعنى يرخي أو يفك)
التي زحفت إلى اللغة الانكليزية
بغفلة من الزمن لا تعني fasten
ولكنها مرادفة في الحقيقة
لكلمة unfasten . ومثال آخر في
العمل الاشتقائي الذي يتطلب
شرحاً براكماتياً (ينظر Dressler
(and Barbarese, 1994) .

و التركيب Compounding

عملية تقودها المبادئ
البراكماتية و التحديدات التي
يحكمها التفسير . interpretability و
حضور السياق context . لناخذ
مركبا مثلاً a house tree
فانه يعني وصفا لشجرة الجوار
(أو في داخل بيت) أكثر مما يعني
شجرة بين بيتين و السبب في ذلك
إن المركب يتطلب قدراً من
المعلومات السياقية المحددة
لضمان تفسير موفق . و على نحو
مماثل لنتأمل المركب المبتكر :
the apple - juice seat و يعني (مقعد
يتقدمه قدح عصير تفاح) ، و
بوظيفته الوصفية للقدح ،
يتطلب المركب سياقاً مشتركاً محدداً
جداً ، ينظر (Dowling , 1977) .
يضاف إلى ذلك أن كثيراً من
المركبات التقليدية غالباً ما
تكون نتاج الإجراءات
البراكماتية الأساسية ، و خذ
مثلاً : عندما توشك طائرتان على
التصادم أثناء الطيران ، فان
الاصطلاح " near miss " هو
الاصطلاح المناسب لهذه المناسبة
وهو يشير أن الطائرتين لم تصطدما
في الواقع و لكنه يؤكد على

يعتبرن عنصر الجاذبية الرئيس. و قد تقرأ موضوعاً في صحيفة تحت عنوان "Mental midwives" يصف المريضات في مستشفى الأمراض العقلية (و هو اصطلاح يتطلب معرفة اجتماعية و ثقافية ويقصد منه إعانة مريضة على الولادة).

و من الجدير بالذكر أن العناصر الاستخدامية سواء ما تعلق منها بالجملة أو المعنى (و هنا أشير إن هذه تتطلب معرفة بالعالم و المعلومات السياقية) تفضي إلى تفسيرات متباينة كثيرة لنفس التعبير المطروح . و لناخذ النماذج الآتية - على سبيل الأمثلة : الـ X فوق الـ Y يعطي " القطة فوق البساط" نفترض هنا (على نحو نموذجي) موقعا أفقياً (القطة هنا مدعومة بالجاذبية). و لناخذ مثلا آخر، " الصورة فوق الجدار":

هذا بدوره يتطلب موقعا عموديا، فالصورة يدعمها أي شكل من أشكال التعليق الاصطناعي (معالجة ضد الجاذبية). " الذبابة فوق السقف " (أفقية أيضا و لكن من مستوى نظر يمكن وصفها " تحت" إن لم يتدخل مستوى نظر الرائي وهو المتكلم، و كون الذبابة قد دعمت بقطعة نسيج ماصة. " الصورة فوق السقف " (حيث لا نرى وجود مساحة بين X و Y . فالصورة ملتصقة تماما بشكل مباشر مع السقف بحيث تصبح مسألة الدعم شيئا لا معنى له). و مستوى الجملة يعيدنا أيضا إلى مجال تراكيب النظم ، حيث تبدو وجهة النظر البراكماتية وثيقة الصلة . فهي تقدمنا إلى مستوى أصوات الكلام

مستوى المفردات، ففي مجال علم الدلالة المعجمي Lexical Semantics ما ينبغي أن يؤخذ في الاعتبار ميدان الاستخدام حالما تدخله المفردة، أكثر مما يعتبر طبيعياً في حقل معناها المعجمي، ففي جملة بسيطة مثل:

-The door opened.

انفتح الباب.

هنا في هذه الجملة الفعل open ربما فسّر بمعاني مختلفة اعتماداً على خصائص سياقية فيزيائية. و رغم عدم توفر معلومات إضافية فان هذا لا يمنع أن يكون للجملة هذه وصف مناسب للحدث. فالباب ينبغي أن يكون فُتِحَ أما أوتوماتيكياً أو من قبل شخص كان محتفياً عن مرأى المتكلم ، وهذا يعني إن هنالك مسببا بشريا هو أو هي لم يكن موجودا على نفس الجانب من الباب الذي كان عليه المتكلم . (هذه الإمكانية - إضافة لذلك- تستبعد كلياً أن يكون الباب شفافاً). إن كثيرا من الكلمات يتعذر فهمها ما لم يتوفر لها عناصر معرفية عالمية (ويطلق على هذا النوع من المعرفة أحيانا بالمعرفة الانسكلوبيدية) Encyclopedic Knowledge . إن هذا إجراء مرحلي للوصول إلى المعنى . قد لا يجد معظم الناس صعوبة في تفسير الاصطلاح " Non- smoking section " و يعني " قسم لغير التدخين " أو الاصوب " لغير المدخنين " (وان لم يشر إليهم حرفياً. و كذلك العبارة " Topless District " وهي عبارة ليست صعبة التفسير، رغم إنها تتطلب معرفة خاصة بأحياء العاصمة و تركيز مؤسساتها (مع هيمنة الذكور) الخاصة بإقامة الحفلات حيث المضيفات على قلتهم

التعرف على بُعد مختلف تماما تناولته البراكماتية . و هكذا يلاحظ مورس ما يأتي:

تحدد الأحكام التنظيمية العلاقات الاشارية بين الوسائل الاشارية. تربط الأحكام الدلالية الوسائل الاشارية بالأشياء . تعلن الأحكام البراكماتية الشروط للمفسر و التي على أساسها نقرر إن الوسيلة الاشارية هي إشارة. إى قاعدة عندما تخضع للاستخدام تعمل نموذج لسلوك ، و بذلك فهناك عنصر براكماتى فى جميع الأحكام .

(السطور المخطط تحتها مضافة من قبل المؤلف)

لأكثر من نصف قرن لاحق، لم نستطع أن نعبر عن هذه الفكرة بصورة أفضل مما هي عليه.

٣- البراكماتية و المعرفة التوافقية (Pragmatics and Interdisciplinarity)

البراكماتية كما صورت في الصفحات السابقة بتردد أو بشكل غير نهائي يمكن تعريفها معرفة توافقية . لنقتبس مورس مرة أخرى:

بواسطة البراكماتية نحصل على العلاقة بين الإشارات و مفسريها . و حيث إن معظم مفسري الإشارات إن لم يكن جميعهم كائنات حية Living Organism ، من هنا تكون وظيفة البراكماتية معالجة العناصر الحيوية لعلم الإشارات بكل ما في ذلك من ظواهر سيكولوجية و حياتية و اجتماعية .

البراكماتية هي استخدام الناس للغة شكلاً من أشكال

حالما نوجه اهتمامنا إلى النواحي التطريزية Prosody ، و نماذج التنغيم Intonation Patterns . لتأمل تنوع التنغيم في الجملة الآتية :

إنها -It's cold in here.

باردة هنا .

ليست بالضرورة هذه الجملة خبرية فقد تكون سؤالاً حقيقياً . و قد لا تكون سؤالاً حقيقياً بل تعبيراً عن عدم الموافقة . أو مجرد عرض رأي أو اقتراح ضمني . أو قد تكون إلى جانب كل ذلك إعلان حالة تدمير (ربما بشكل مباشر أكثر لإفشاء طلب بفتح التدفئة) .

و السؤال الآن : لماذا نصف كل هذه الظواهر (وسيقدم الكثير منها لاحقاً) بالبراكماتية ؟

إن هذه لا تعدو عن كونها نتيجة طبيعية مباشرة للقبول المتشدد بتعريف علم اللغة البراكماتى بكونه دراسة لاستخدام اللغة وربما يمكن توضيح ذلك بالرجوع إلى التعريف الشامل الذي افترضه أصلاً مؤسس البراكماتية جارلس مورس (١٩٣٨) . فقد ميّز مورس بين علم النظم و علم الدلالة من ناحية و علم استخدام اللغة من ناحية أخرى من خلال ثلاث دالات:

الإشارات Signs ، الأشياء Objects التي تدل عليها الإشارات ثم مستخدمو أو مفسرو الإشارات . و علم النظم يتناول علاقة الإشارات بالإشارات الأخرى التي ترتبط بها من الناحية التطبيقية . و علم الدلالة يعالج علاقة الإشارات بالأشياء التي تشير لها . أما العلم البراكماتى فيبحث العلاقة بين الإشارات و مستخدميهما أو مفسريها . فمقترح مورس يتضمن

له. البراكماتية تهتم بكل تعقيدات السلوك اللغوي. و انطلاقاً من هذه الرؤية فإنه لا يمكن مخاطبة - على سبيل المثال - مسائل معرفية دون أخذ المجتمع و البناء الثقليدي بنظر الاعتبار. كما انه من المستحيل بعين الوقت مخاطبة مسائل اجتماعية أو عرفية بمعزل من أسسها ومضامينها المعرفية. و حين ننظر إلى عمل أنجز تحت مسميات معارف تواقفية فسوف يرينا درجة جادة من التطابق الفكري و الطرائقي من خلال تطبيق بحثي واقعي عليه. للسبب نفسه كثير من العناصر التي سنقدمها في هذا الكتاب كبراكماتية ستتلاءم بيسر تحت واحدة أو أكثر من المسميات تواقفية. ليس هنا من سبب لنرى هذا مشكلة. إن هنالك كثيراً من أشكال البحوث التي تتطلب تحديدات (مفروضة ذاتياً) واضحة توسع حدود فهمنا. و الوظيفة الأساسية للبراكماتية اللغوية في الصورة الأكاديمية في العلوم المرتبطة لغوياً يمكن أن تكون - و لكن متأكدين إن هنالك نقطة التقاء لمختلف المهمات تواقفية - صورة شاملة يمكن أن تستلهم ومنها ستنطلق الحاجة إلى خطوط محدودة من البحث و الاستقصاء. و بنفس الوقت يمكن أن توظف البراكماتية بفعالية تامة كرابط يجمع ما سميناه هنا بالمصادر اللغوية مع حقول المعارف التواقفية المذكورة هنا.

و خلاصة ما تقدم : نستطيع أن نحدد البراكماتية أكثر في كونها منظوراً معرفياً ، اجتماعياً ، ثقافياً

السلوك الإنساني و العمل الاجتماعي . و البعد الذي تضيفه هو العلاقة بين اللغة و الحياة الإنسانية. فالبراكماتية إذن لا تقع فقط خارج المجموعة المتباينة التي يعود لها علم الأصوات اللغوية و الفونولوجية و علم الصرف و علم نظم الجملة ، بل ولا تجد مكاناً بين المعارف تواقفية مثل علم اللغة العصبي Neurolinguistics و علم اللغة النفسي Psycholinguistics و علم اللغة الاجتماعي Sociolinguistics و علم اللغة الانثروبولوجي Anthropological Linguistics . إن كلا من هذه الحقول له عنصر ارتباطي بالعلاقة لما تدرس اللغة من أجله. دعنا نتبسط قليلاً: يحاول علم اللغة العصبي كشف الأسس العصبية الاجتماعية و عمليات التكلم و الاستماع (و ما يمكن أن يصيب هذا المجال من خلل أو اضطراب). علم اللغة النفسي يدرس العلاقات بين اللغة و العقل بصورة عامة (و هذه مهمة مجال جزئي تتكرس لها خصائص معينة لعلم اللغة الإدراكي . علم اللغة الاجتماعي يهتم بالطرق التي تتفاعل مع العلاقات الاجتماعية بما في ذلك أوضاعها و أنماطها و نشاطاتها وشبكة خطوطها و كيف تتعامل كل هذه مع اللغة و استخدامها. علم اللغة الانثروبولوجي : يدرس العلاقات المتينة بينه و بين البناء العرقي و الثقليدي للمجتمع (Culture) .

و كما انه مستحيل تعيين وحدة أساسية للتجليل البراكماتي فمن المستحيل كذلك التعرف على عنصر ارتباطي محدد

(ومنه الفعل "يولد" Generate) لا يركّز بالضرورة على الانهماك الفعال لمستخدم اللغة. وبسبب إمكانية اللغة من استخدام أفعالها بشكل لازم كما هو الحال في :

"تحت الظروف الصحيحة، تتولد الكهرباء بشكل طبيعي" فإنها تسمح لتكلمها بما يشاء من مساهمة فعّالة إلى عملياتها يضاف إلى هذا الفارق الطفيف و الهام بنفس الوقت سوف نأتي عليه بالشرح فيما بعد (خصوصاً في الفصلين ١ و ٦) وأينما يحتاج إلى تركيز انتقائي، ستميّز بين "بناء المعنى" Meaning "Construction" و بين "انبثاق المعنى" "Meaning Emergence".

كنا قد اشرنا بتكرار إلى المعنى من خلال السياق. إن واحداً - ربما من الأكثر قبولا- في التحديدات البراكماتية التقليدية يمكن مقارنته مباشرة مع علم الدلالة، إن الأخير يعالج السياق التابع للمعنى. لكن التوظيف الجاد للغة المتمثل بمنظورنا للبراكماتية-على أية حال- ليس محصوراً بالمعنى في السياق و الذي يمكن أن يضاف ببساطة إلى مستوى آخر من المعنى درس على نحو كاف في علم الدلالة. لنصوّر فصل المعنى السياقي من المعنى غير السياقي في "أنا متعب." (I'm tired).

لشيء واحد، هذا مستحيل من الناحية العملية. بالإضافة لهذا، فإننا بعملنا هذا سنخترق وجهة النظر البراكماتية ونعيدها إلى المجموعة المتباينة للعناصر التقليدية للنظرية اللغوية. و الأكثر أهمية، فإن مثل هذا الموقف سيتجاهل الحقيقة

في الظواهر اللغوية بالعلاقة إلى استخدامها في أشكال سلوك، حيث الخط الذي يجمعها معرفي، اجتماعي و ثقافي و لا يسمح بالتجزئة كما تشير إليه المصطلحات. و هكذا فالسؤال الآن: كيف توظف اللغة في حياة الكائنات البشرية لتحقيق هذا المنظور السلوكي الشامل؟

٤- التوظيف المفيد للغة
مهما قيل عن توظيف اللغة، فما من شك انه مفيد أساساً. اللغة هي الوسيلة الأساسية في محاولة بناء معنى في عالم هو نفسه يفتقر إلى المعنى. هذا الادعاء المتميز لا يتكئ فقط على المستوى الرفيع للتنقيب الفلسفي عن المعنى في الحياة. كثير من الأمثلة في هذا الكتاب ستري إن توليد المعنى يتدنى في المستوى لأي نموذج حدث في كل يوم حيثما تستخدم اللغة. و هكذا فاخترنا الأفراد بيّن " John broke the figurine. " "حطم جون التمثال" و " The figurine got broken." "تخطم التمثال" لم يكن منطقي. و كذلك الخيار بين " near hit." و " near miss" التقليديان و يعنيان " نجاة بأعجوبة".

قبل الاستمرار، هذه ملاحظة تتعلق بالمصطلحات الفنية (بالترتيب). عوضاً عن المصطلح الأكثر شيوعاً في الاستخدام "بناء المعنى" فإن هذا الكتاب سوف يشير إلى التوظيف المفيد للغة عموماً لنقل توليد المعنى " Meaning Generation". و بالنقيض إلى بناء Construct و يبني Construct فالمصطلح "توليد" Generation

اللغات لتنوع مطلق بين /b/, /p/ أو بين /b/, /f/ وفي لغات أخرى مثل كيوشا تتضاعف عدد التباينات العملية و ذلك بالتمييز بين /p/, /ph/، و /p/ . هذا النموذج من النظرية الوظيفية يتميز بالتناقض الداخلي: المبدأ الوظيفي ذلك الذي يقال عنه انه يعمل ضمن منظومة اللغة لا يمكن تطبيقه على اللغة كظاهرة بين الظواهر الأخرى لكونها ينظر لها ظاهراً مستقلة. البراكماتية- من الناحية الأخرى تؤكد الصلة الوظيفية للغة مع الجوانب الأخرى للحياة الإنسانية. إن عدم التعرف على أهمية كل هذا فان النظرية الوظيفية البنوية ستبقى على الأغلب ميكانيكية و سوف لا تسمح للمعنى إلا إن يحصل جانبياً ، بينما تعطي البراكماتية دوراً مركزياً - بالرغم من أننا يجب أن نكون محترسين أن لا نعزو موقفاً مماثلاً لكل البنيويين.

هذا الكتاب سوف يتجنب أيضاً أي نظرية لغوية ينظر إليها روابط بين الأنظمة الرسمية و استخداماتها. و بدون تجاهل الحاجة إلى الشروح القابلة للتعميم (كما هو مصور- على سبيل المثال في (٧-١) فان البراكماتية ينبغي أن تركز بدقة على توظيف اللغة من خلال السياقات الواقعية من الاستخدام.

ه- مهمة لا نهائية إن المهمات التي تضطلع بها البراكماتية و كما ظهرت من التوضيح و التحديد الموجزين قبل قليل هي ذات مدى واسع في الحقيقة. لكن المخاوف من

إن البراكماتية تعالج نموذجاً مختلفاً من المعنى حيث تسمح لنا مثلاً أن نتكلم عن جدية الخيارات بين الأنظمة الصوتية كما صوّر. المعنى في السياق، بلا شك، يعود إلى ذلك النموذج من المعنى، ولكنه لا يعالجه معالجة كاملة. و ليس من الضروري تحويل المعنى إلى فكرة ديناميكية لكي ينبغي أن تساعدنا على إدراك ما يجري في استخدام اللغة. و يحدث عادة، بينما تمضي البراكماتية في معالجتها بدراسة المعاني من خلال سياقاتها، تسمح بتسريع المعاني من خلال التراكم اللغوية لتضيف - ببساطة- عامل الثبات على مستوى مختلف.

و بعد أن كنا قد قدمنا فكرة "التوظيف" "Functioning" ، نحتاج إلى بعض الكلمات لتقال عن نوع " النظرية الوظيفية" Functionalism . و لم يكن المقصود هنا هو " نظرية النظام الوظيفية" Functionalism of the System و التي توجد اليوم في البنيوية اللغوية التقليدية و التي هي ميكانيكية إلى حد ما. إن حدود البنيوية تتضمن رؤية اللغة كنظام مستقل حيث تبدو جميع العناصر فيها متعلقة ببعضها البعض و تسوق أهميتها كلياً من العلاقات الوظيفية مع العناصر الأخرى . و هكذا فالفونيمات f و v يشكلان تبايناً وظيفياً في اللغة الانكليزية يميزان كلمتين مثل few قليل و view رؤية (في احد معانيهما) . وبينما /p/ و /b/ و /f/ هي أصوات عملية في اللغة الانكليزية (كما هو الحال في (pin , bin , fin) ربما تسمح بعض

التقليدية للنظرية اللغوية (علم الصوت، الفونولوجيا، علم الصرف، علم النظم، علم الدلالة)، و كل منها لها وحدة (وحدات) تحليل.

• حقول البحث تواقفية (مثل علم اللغة العصبي، علم اللغة النفسي، علم اللغة الاجتماعي، علم اللغة الانثروبولوجي) و كل من هذه المعارف لها مقاصدها اللغوية الإضافية المرتبطة بها.

• وبالمقارنة لتلك، قدّمت البراكماتية:

- علم اللغة استخدام اللغة
- لا تملك وحدة (وحدات) تحليلاً كما إنها لا تملك أهدافها الارتباطية الخاصة بها
- تشكل رؤية وظيفية عامة (معرفية، اجتماعية و ثقافية) للغة
- وهي إلى جانب كونها وسيلة التحري للتوظيف المفيد للغة من خلال استخدامها الواقعي، فهي تشكل بعين الوقت شكلاً معقداً من السلوك الذي يقتضي إلى توليد المعنى.
- وهي تخدم ضمن رابطة العلوم اللغوية نقطة تركز لاستقصاء المعارف تواقفية و كرابطة بين هذه ومكونات علم اللغة المتخصص بمصادر اللغة.

وانه لهم بشكل خاص أن نتذكر أن المعنى هو العنصر الذي تهتم به البراكماتية. لم يكن يرى نظيراً ثابتاً للبنية اللغوية، بل الأخرى انه يتولد ديناميكياً في عملية استخدام اللغة.

التوسيع غير المنضبط، بعيداً كثيراً عن حدود ما يمكن أن ندعوه براكماتي لها ما يبررها. عموماً - مع ذلك - كما سرى من خلال التحريات القادمة إن نقطة عملية لا بد من إيجادها. خذ على سبيل المثال: انه تماماً مشروع في تحليل براكماتي أن اربط قولي:

"جون يملك شعراً احمر" -

John has red hair.

برابطته المتوقعة عادة، مع اعتقادي ان جون يملك شعراً احمر (ما لم يدعم هذا التفسير بشروط محددة معروفة بالقول. مع ذلك فإنه ليس من مهمة البراكماتية أن يجري تحقيقاً بالأسباب التي دعنتي اعتقد بان "جون يملك شعراً احمر" ما لم يكن هذا ضروريا لفهم عناصر أخرى في الخطاب الذي يتفق قولي معه.

بالإضافة إلى ذلك، إن الاقتراح بان البراكماتية هي منظور Perspective، "علم اللغة علم استخدام اللغة" The Linguistics of Language Use فان هذا المعنى في الأعم الأغلب ينبغي أن يفهم حرفياً. و كمنظور فهو رؤية شاملة. ووصف لذلك المنظور ممكن كما يحاول هذا الكتاب توضيحه عملياً ولتطبيق "عمل البراكماتية" مهما يكن من أمر، سيكون مقبولاً تماماً وغالباً ضروري أن نختار مجوثر ذات علاقة بالشؤون الراهنة ومتناغمة مع اطر طرائقية محددة دون أن نفقد الرؤية - بطبيعة الحال - بالإطار المرجعي العام.

٦- خلاصة وقراءات إضافية

لقد قمنا بالتمييز بين:

- علم اللغة المخصص بمصادر اللغة، مؤلف من المكونات

- Davis, S. (ed.) (1991). Pragmatics : a reader. Oxford: Oxford University Press.
- Dowing, P. (1977). On the Creation and Use of English Compound Nouns. Language: 53:810-24.
- Dressler, W.U. and Barbaresi, L.M. (1994). Morphopragmatics: Diminutives and Intensifiers in Italian, and Other Languages. Berlin: Mouton de Gruyter.
- Gruning, B.N. and Gruning R. (1985). La fuite du sens: fa construction du sens dans l' interlocution. Paris:HA-tier-Credif.
- Haberland, H. and Mey, J. (1997). Editorail: Linguistics and Pragmatics. Journal of Pragmatics 1: 1-12.
- Lee, G.N.(1991). Language and Culture. In G. Button (ed.) (1991).
- Levinson, S. C. (1983). Pragmatics: Cambridge: Cambridge University Press.
- Morris, C. (1983). Foundations of the Theory of Science. Foundations of the Unity of Science. Towards international Encyclopedia of Unified Science, 1, 2. Chicago: The University of Chicago. The University of Chicago Press.
- Verschueren, J. (1985b). Review article on G.N. Leech, Principles of Pragmatics, and S.C. Levinson, Pragmatics. Journal of Linguistics 21:459-70.
- Weiser, A. (1974). Deliberate Ambiguity. Papers from the Tenth Regional Meeting of the Chicago Linguistics Society, 723-31.

وبالرغم من إن وجهة النظر المعروضة في هذه المقدمة لم تكن قد فصلت في مكان آخر في أدبيات البراكماتية، فإن كثيرا من المناقشات يمكن أن يعثر عليها في التعريف الخاص بالحقول، وقراءة متأنية لها يمكن أن يساعد على تسهيل فهم الموقف الحاضر له. وفي الخصوص، فإن الفصول التمهيديّة لليفنسون Levinson (١٩٨٣) و ديفز Davis (١٩٩١) في غاية الأهمية. ومن أجل مناقشة واسعة في استيعاب أسباب " رؤية مكونة" للبراكماتية فإنه لم يعد لينظر لها موضوعا قابلا للدفاع (بنظر فرسكورن، ١٩٨٥ ب) . و من هنا ولدت الصيغ الحديثة خاصة تلك التي قاربت مع ما ندعوه " بالرؤية المنظورية" Perspective View خصوصا تلك التي تناولتها ويزر (١٩٧٤) وهابر لاند وموسسي (١٩٧٧) و كما سنرى عرضها في (الفصل ٩) ، و من أجل محاولة نظامية لتفعيل استخدام اللغة من حيث توليد المعنى أو بكلمة أدق بناء المعنى (ينظر كرونك و كرونك ١٩٨٥) . ويمكن أن نجد مناقشات ممتعة خارج الأدبيات البراكماتية التقليدية (ينظر كولتر ١٩٩١ و لي ١٩٩١) و التي تشير إلى وحدة العناصر المعرفية و الاجتماعية الانثروبولوجية- وكلها يجب أن تتحد في إطار المنظور البراكماتي.

المصادر التي وردت في هذه الترجمة (من أجل الاستزادة و الفائدة)

- Covlter, J. (1991). Cognition in an Ethnomethodological Mode. In G. Button (ed.) (1991).